تحليل عن مفهوم الوسطية في الفقه الأسلامي

Mohamed Omar Moftah Ahmed Midoun

University Sains Islam Malaysia
Sadd197@hotmail.com

Abstrak

Konsep wasathiyah merupakan bagian dari konsep Islam yang membedakan dengan agama-agama lainnya baik dari aspek aqidah maupun syariah, umat muslim maupun peradabannya. Keberadaan konsep wasathiyah dalam fiqh Islam dapat dilihat dari berbagai pendapat ulama salaf. Banyak keutamaan yang terkandung dalam konsep wasathiyah seperti: kebaikan, keadilan, kemudahan untuk menghilangkan kesulitan, hikmah, istiqamah, dan moderasi. Begitupula sebaliknya, konsep wasathiyah menolak segala macam penyimpangan seperti sikap ghulû, tafrîti, ifrâti dan lain-lain dalam setiap perbuatan, terutama dari aspek ibadah. Karenanya pembahasan tema ini masih relevan, termasuk pada abad kontemporer ini.

ينملسلا و ةعيرشلاو ةديقعلا قلعتي لميف ءاوس نايدلأا نم هيرغ نع هزيم يذلا يملاسلإا هوهفلا نم ءزج ةيطسولا ثحبصأ ح ملاعم نم ديدعلا .فلسلسلا ءلماع لسمع ءارلآا ةفلتخم نم هيلإ رظنيو نأ نكيم يملاسلأا هقفلا في ةيطسولا هوهفم دوجو . مهتمراضحو ةيطسولا هوهفم كلذ فلاخو .ةينيبلا ,ةماقتسلاا ,ةمكحلا ,جرحلا عفرو رسيلا ,لدعلا ,ةيريخلا :يأ ةيطسولا هوهفم لذه يرسفتل كلذبو .ةدابعلا ةهجو نم اصوصخو لئاللمعأ لك في اهيرغو طارفلإاو طيرفتلا و ولغلا يأ ةئطاخلا عاونأ لك ضفر .رصاعلا نرقلا في ابم ةمهم لازت عوضولما

كلمات السر: الوسطية, الفقه, الأسلامي

المقدمة

فإنّ المشكلة في الواقع الذي تعيشه الأمّة اليوم يرى اختلافًا شاسعًا في لمهمهف و ماهنيفنة. لديدعلا نم لمعلأا لم هزتلة هوهفم الوسطية. ةجيتنة مذلم هيهلفلا ةئطاخلا يأ تلأبَّفرط و الغلو و التفريط والإفراط في العبادة. يمثله اليهود في تفريطهم وجفائهم فلو تأملنا التوراة لوجدنا تقديس المادة غلب على بنودها فلا يوجد في كتبهم ذكرا عن الآخرة وإذا ذكر فيها وعد ووعيد فإنما يكون هذا عقاب الدنيا فقط دون ذكر عذاب الآخرة. لمنيبو المنهج النصارى وهو منهج الإفراط والغلو وابتدع النصارى رهبانية قاسية على النفس تحرم الزواج وتكبت الغرائز وتمنع أي شكل من أشكال الزينة وتعتبره رجسا من عمل الشيطان. لمنيدلا ةجاح

لإ ةفرعم نأ لإإو بناج ةدابعلا, لمع ةطرفلا نكيم نأ ثديح لمضيأ في لك روملأا نم قلاح ينملسلا.

فأهل السنة هم في جملتهم (العدول الخيار) أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين: عقيدة و تعبيرش وعلما وعملا وأخلاقا ومواقف. وسط بين الغلو والتقصير وبين التفريط والإفراط في سائر الأمور. وسأتحدث في هذه المقالة عن مفهوم الوسطية والاعتدال في اللغة والاصطلاح، وهو موضوع الفرع الأول من المحور الأول في ندوة (أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو).

ولقد تأملت كثيرا أهمية هذه الوسطية التي هي من أهم خصائص العقيدة الإسلامية. وأيقنت أن الأمة بأمس الحاجة إلى منهج الوسطية لينقذها من الضلال و الانحراف الذي جلب لها المصائب والنكبات. لذلك كان لابد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرّجل يقوت أَهْله قوتا دونا، وبعْضهمْ قوتا فيه سعةٌ، فقال اللَّهُ: ﴿**مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**﴾.[٨] (٤) الوسطية بمعنى ما بين طرفي الشيء وحافتيه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿(٤حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.[٩] والصلاة الوسطى صلاة العصر، وسميت الوسطى؛ لأن قبلها صلاتين، على اختلاف في تحديد أي الصلوات هي.[١٠] (٥) الوسطية بمعنى التوسط الظرفي. ومن ذلك قوله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الْحَلْقَةِ).[١١] وفسرها ابن جرير الطبري بمعنى التوسط بين الإفراط والتفريط.[١٢] وكذلك ابن كثير فسرها: بالخيار الأجود.[١٣]

ومعنى الوسط كما فسره القرآن الكريم في آية أخرى «الخيرية»: قال تعالى: ﴿(٤كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. وفي اللغة: المرعى الوسط هو خياره، ووسط الشيء أفضله وأعدله، وواسطة القلادة: الدرة التي في وسطها وهي أنفس خرزها. وفي الصحاح:» واسطة القلادة الجوهر الذي هو في وسطها وهو أجودها». وقد فسره الإمام على أنه أحسن الأديان، وفلان من أوسط قومه أي خيارهم وأشرفهم وأطيبهم, ومنها سميت الصلاة الوسطى لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجرا ولذلك خصت بالمحافظة عليها, وقد وُصِفَ النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان من أوسط قومه.

أما معنى الوسطية في الاصطلاح أخرى فهي: حالة – خطابية أو سلوكية محمودة تعصم الفرد من الميل إلى جانبي الإفراط و التفريط. ذهب الدكتور وهبة الزحيلي أنّ المقصود بالوسطية هو الاعتدال، فقال :(والوسطية في العرف الشائع في زمننا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد، ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا استسلام ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج،ولا تهاون، ولا تقصي، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس،وهو معنى الصلاح والاستقامة.[١٤]

يدور مفهوم الوسطية هنا حول مدلول آية الوسطية في قوله تعالى: ﴿

[٨] المائدة آية: ٨٩.

[٩] البقرة آية: ٢٣٨.

[١٠] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشق, عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير, تحقيق أحمد شاكر, دار الوفاء, ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م, (١ /٢٩١).

[11] الترمذي الأدب (٢٧٥٣) ، أبو داود الأدب (٤٨٢٦).

[١٢] أبو جعفر الطبري, جامع البيان في تأويل القرآن, مؤسسة الرسالة, ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م, (٣ /٢٤٢)

[١٣] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشق, عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير, تحقيق أحمد شاكر, دار الوفاء, ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م , (١ / ٢٧٥)

[١٤] وهبة الزحيلي, الوسطية مطلباً شرعياً وحضاريا, مجلة الوعي الإسلامي, د. ص٥

من أن ابحث عنها و أوضحها بشكل يبين مدى أهميتها ومعناها من جميع النواحي. فهناك عدة معان للوسطية في لغة و اصطلاحا التي فيمكن لنا لنفهم عن أهمية الوسطية في الفقه الأسلامي. فأهل السنة هم في جملتهم (العدول الخيار) أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين: عقيدة وعلما وعملا وأخلاقا ومواقف. وسط بين الغلو والتقصير وبين التفريط والإفراط في سائر الأمور. وسأتحدث في هذه المقالة عن مفهوم الوسطية والاعتدال في اللغة والاصطلاح، وهو موضوع الفرع الأول من المحور الأول في ندوة (أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو).

الوسطية في القرآن الكريم و الحديث

معنى الوسطية لغةً: تدل كلمة وسط على معان متقارنة كما يقول ابن فارس:(الواو والسين و الطاء بناء صحيح يدل على: العدل، و النصف و أعدل الشيء أوسطه.[١] وتاتي كلمة وسط صفة بمعنى «خيار» و أفضل، و أجود، فأوسط الشيء أفضلة وخياره كوسط المرعى خير من طرفي.[٢] وكيفما تصرفت هذه اللفظة نجدها لا تخرج في معناها عن معاني العدل و الفضل و الخيرية و النصف و البينية و المتوسط بين الطرفي.[٣] يقول الراغب الأصفهاني في تعريف الوسطية بأن معناها العدل(الوسط من كل شيء أعدله)،[٤] ويقول ابن أبي الحديد بأن الوسط هو معناها خيار كل شيء.

الوسطية في الشرع والاصطلاح: وردت الوسطية في القرآن الكريم[٥] في أكثر من آية وفي السنة في أكثر من حديث على المعاني التالية: (١) بمعنى العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، ومن ذلك قوله ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. وبهذا المعنى فسرها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حديث أبي سعيد الخدري فقال: (الوسط: العدل).[٦] (٢) الوسطية في السنة كذلك بمعنى الأوسط والأعلى كما وصف النبي الفردوس بأنه (أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ).[٧] (٣) معنى الوسطية على اعتبار الشيء بين الجيد والرديء، كما قال ابن عباس – في رواية عنه – كان

[١] عبد السلام هارون, معجم مقاييس, مصر: مطبعة مصطفى البابي .. ط٢. ١٩٣٠/١٩٧٠ كتاب الواو، باب السين.

[٢] محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين, لسان العرب، بيرت: دار صادر, ٢٠١٠م، (٤٢٧/٧)

[٣] مما تقدم يتضح لنا أنّ هذه اللفظة تدل على معان متقاربة : (الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه...). أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, معجم مقاييس اللغة, بيرت: دار الفكر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. كتاب الواو، باب (الواو والسين): (١٠٨/٦).

[٤] الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن, مكتبة نزار مصطفى الباز

[٥] الأهمية موضوع الوسطية في التشريع الإسلامي من القرآن الكريم في عدَّة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعدّدة، حيث وردت بلفظ: (وَسَطًا) (البقرة: الآية ١٤٣). تاذ ىرخأ تايآ لمنيب يأ عذلجا تملصلا (الْوُسْطَى) (البقرة: الآية ٢٣٨) و (أَوْسَطِ) (المائدة: الآية ٨٩) و (أَوْسَطُهُمْ) (القلم: الآية ٢٨) و (فَوَسَطْنَ) (العاديات: الآية ٥).

[٦] محمد بن إسماعيل البخاري, صحيح البخاري, بيروت: دار ابن كثير, ١٤٢٣ هـ, [٧] البخاري الجهاد والسير (٢٦٣٧) ، أحمد (٣٣٩/٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها.[٢١]

بهذا يتبين أن الوسطية ليست معياراً بشرياً للفضائل، إنما ميزة تميز بها هذا الدين، وتميزت بها شرائعه، فالدين وأهله براء من الانحراف، سواء الجانح إلى الغلو أو الجانح إلى التقصير حيث ورد في القران الكريم أن الأمة الإسلامية شاءها الله، أمةً وسطاً ,ووردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن تحول القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وكانت بمثابة الرد على مفتريات بعض أهل الكتاب، بان النبي لم يكن على بينة من ربه لأنه غير قبلته وإنه أولاً إلى بيت المقدس استمالة لأهل الكتاب ومداهنة لهم ثم غلب عليه حبه وطنه وتعظيمه فعاد إلى إستقبال الكعبة ، ولايعنينا التوقف هنا إمام سبب النزول بمقدار ما يعنينا تقرير أن الوسطية حقيقة قرآنية.

ويري الباحث في هذا الخطاب الإلهي أنما هو منهج ثابت في متن هذا الدين، وان المسلمين لا خيار لهم في انتهاج هذه الوسطية لان الخيار حينئذ يكون خياراً بين منهج حياة ومنهج موت، أو هو خيار بين الإسلام في صيغته التي حددها القران الكريم والإسلام في صيغ أخرى مغلوطة، تحدثها الأهواء والفتن ولا يلحق الأمة من ورائها إلا المزيد من الاضطراب والوهن. لأن وسطية الإسلام ليست بدعة احد. إنما روعة السلام في حض المسلمين على عدم التشدد. حيث جاءت الآيات والأحاديث لتضع المسلم في موضع ومركز التوسط والاعتدال وتوجد العديد من الآيات والأحاديث التي تؤكد علي التوسط والإعتدال لعدم حَرَج منها قوله تعالي :﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.[٢٢] وقوله تعالي :﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.[٢٣] وقوله أيضاً :﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.[٢٤]

ينضرلعلا هوهفلا الوسطية

يوجد بعض الخصائص التي تتعارض مع مفهوم الوسطية يأ: ١)) الغلو وهو مجاوزة الحد. قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾.[٢٥] وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ).[٢٦] ((٢ والإفراط: وهو بمعنى الغلو، وهو تجاوز القدر في الأمور. (٣(والتفريط: وهو بمعنى التقصير. فمنهج أهل السنة وسط في ذلك بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة. (٤(**والجفاء:** خلاف البر والصلة. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حق القرآن: (وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ)[٢٧] أي: لا تنقطعوا عن

[٢١] عبدالله بن محمد بن احمد القرطبي. الجامع لأحكام القران، دار الكتاب العربي. ج ٢ , ص٦.

[٢٢] الحج الآية: ٧٨.

[٢٣] البقرة الآية: ١٨٥

[٢٤] الإسراء الآية: ٢٩.

[٢٥] النساء آية: ١٧١, المائدة آية: ٧٧

[٢٦] ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٢١٥/١).

[٢٧] أحمد (٤٢٨/٣).

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.[١٥] قال أهل المعاني: لما صار ما بين الغلو والتقصير خيرا منهما، صار الوسط والأوسط عبارة عن كل ما هو خير. قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ (القلم: الآية ٢٨) قيل في تفسيره: خيرهم وأعدلهم. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خير هذا الدين النمط الأوسط). وأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسط لأنهم لم يغلوا غلو النصارى، ولا قصروا تقصير اليهود في حقوق أنبيائهم بالقتل والصلب.[١٦]

أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم»وسَط»، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب.[١٧] أما أهلُ تقصير هم اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به. أما المسلمون أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها. قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله:»وكذلك جَعلناكم أمة وسطًا»، كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد عليه والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقِبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضَّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا.[١٨]

وقد ساق الطبري عددًا من الرِّوايات في هذا المعنى. ثم ذكر تفسير هذه الآية منسوبًا إلى بعض الصَّحابة والتَّابعين، كأبي سعيد ومجاهد وغيرهما، حيث فسَّروها بـ «عدولا». وكذلك نقل تفسير ابن عباس لها «جعلكم أمة عدولا». وقال ابن زيد: هم وسط بين النبي وبين الأمم.[١٩] **قال ابن كثير:** الوسط هنا الخيار والأجود، كما يُقال في قريش: أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي خيرها.[٢٠]

وقد وصفت أمة الإسلام بأنها أمة وسط بين اليهودية التي مالت إلى المادية ، وبين النصرانية التي مالت إلى الروحانية. وقد أورد علماء التفسير بيان الوسطية في الإسلام حسب ما يقول القرطبي رحمه الله: وارى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا الترهيب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربهم ، ولكن أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم

[١٥] البقرة: الآية ١٤٣

[١٦] أبو الحسن علي بن الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد, بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م, ص ٢٢٥–٢٢٤.

[١٧] فالإسلام لا يأمر بالزهد المبالغ فيه، ولا بالرهبانية ولا يحرم زينة الله :حيث جاء في قوله ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾

[١٨] أبو جعفر الطبري, جامع البيان في تأويل القرآن, مؤسسة الرسالة, ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م, جـ ١ ص ١٤٢

[١٩] أبو جعفر الطبري, جامع البيان في تأويل القرآن, جـ ٢, ص ٧

[٢٠] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشق, عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير, تحقيق أحمد شاكر, دار الوفاء, ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م , (٢٦٣/١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قاطعة وردت في القرآن الكريم في وضوح لا لبس معه ولا التواء، وهي من بساطة الإدراك بحيث يسمعها الأمي البسيط الساذج فيعيها، ولا يكاد يفوته مما يدركه منها الباحث المدقق شئ ذو بال والقران الكريم صريح في أن الوسطية ثابتة لهذه الأمة ثبوت الوصف اللازم لموصوفه وهو وصف ثابت غير عارض ولا طارئ على حضارة هذه الأمة بحيث يثبت لها مرة حسب تبدل الظروف والأحوال.

ويحدثنا التاريخ أيضا أن حضارة المسلمين نزلت إلى ميدان التجربة، وأثبت وجودها على أرض الواقع، وكسبت رهانات مذهلة في معارك التحدي والاستجابة مع حضارات العالم ممن حولها، وكذلك يسجل التاريخ أن هذه الحضارة استوعبت في صراعاتها الباكرة أعتى حضارتين عرفهما العالم آنذاك وهما: حضارتا الفرس والروم ، على أن موطن العجب هنا هو أن حضارة الإسلام لم تكن في ذلك الحين مذكورة، أو حضارة يحسب لها الحساب بل كانت ما تزال حضارة وليدة لم تقف على قدميها بعد، ومع أنها لم تكن الحضارة الأقوى ولا الأغنى ولا الأوفر عدداً أو الأمضى سلاحاً فإنها مع ذلك اقتحمت في سبع سنين قصار بلاد الفرس والروم، وسرعان ما تقوضت أمامها في الشرق دولة الأكاسرة وتداعت في الشمال والغرب دولة القياصرة، وزال سلطانها من الشام وفلسطين ومصر وأفريقيا الشمالية وقد صدق حدس المفكر العملاق الأستاذ العقاد وهو يصف هذه الظاهرة, بعد طول تأمل- بأنها: (عجيبة من أعظم عجائب التاريخ، لا يبرح المؤرخون حتى أيامنا هذه يأتون في تعليلها كل يوم بعلل جديدة)، وان هذه العلل على كثرتها,لم يستقم منها على حجة النظر العقلي النزيه إلا ما كان راجعاً إلى طبيعة العقيدة وعرفوا كيف يتغلبون بها على أعدائها وكيفما كانت أمر العلل التي قيلت في تفسير هذه الظاهرة العجيبة فالأمر الذي لا مرية فيه أن الرسالة التي حملتها هذه الحضارة قد تميزت بالمرونة والقدرة على الحركة، لأنها لم تستنفذ أغراضها وتشريعاتها في طائفة محددة من الأحكام المغلقة والمواعظ العامة، ولذلك اتسمت بما سمي في أدبيات هذه الحضارة بصلاحية الرسالة لكل زمان ومكان ، ومعلوم أن هذه الصلاحية المتجددة كلما تجددت الأحوال والظروف والأزمنة والأمكنة ماكان لها أن تكون لولا عنصر (الوسطية) أو (التوازن) أو (التكامل)، أو ما شئت من هذه الخصائص التي تلتقي كلها نحو معنى(الوسطية) وتمثل ما يشبه الطاقة المتجددة التي مكنت هذه الحضارة من الانتشار بين أمم وشعوب تختلف معها جذرياً: بيئةً ولغةً وجنساً وعرقاً وعقيدة وحضارة وهو الأمر الهام الذي ينبغي فهمه وتعميمه في عصرنا الحاضر بين الدول.

وصور الوسطية ومظاهرها في الدين كثيرة إذ هي شاملة لجميع جوانب الحياة فكل أمر من أوامر الإسلام جاء على وفق العدل. يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (ما أمر الله بأمر إلا والشيطان فيه نزعتان، إما تلاوته. (٥)**والظلم**: وهو مجاوزة الحق. ولذلك سمى الله الشرك ظلما ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢٨]

ملامح مفهوم الوسطية

للوسطية ملامح وسمات تحف بها و تميزها عن غيرها، ومن أهم سمات الوسطية ما يلي: (١) الخيرية: قال تعالى: ﴿كنتم خير امة أخرجت للناس﴾.[٢٩] قال ابن كثير في تفسيرها: يعني الناس للناس والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس. وقد ورد في تفسيرها لدى العديد من المفسرين ولكن نحن نكتفي بهذا التفسير. (٢) العدل: قال القرطبي: الوسط العدل وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، وقد ساق الطبري أدلة من السنة والسلف في ذلك. (٣) اليسر ورفع الحرج, قال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.[٣٠] (٤) الحكمة: إن الحكمة ملمح من ملامح الوسطية وبيان هذا أن التوسط هو توسط معنوي وتحديد هذا التوسط يكون بمراعاة جميع الأطراف تحقيقا للمصالح ودرءا للمفاسد وهذه هي الحكمة الشرعية وبعبارة أخرى فان الوسطية أمر نسبي يخضع تحديده لعوامل عدة لا بد من مراعاتها ولا يتحقق ذلك إلا بإتقان الحكمة. قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.[٣١] (٥) الاستقامة: الوسطية استقامة ولو لم تكن على نهج الاستقامة لكانت انحرافا والانحراف إما إفراط أو تفريط وهناك شعور لدى بعض الناس أن الوسطية تعني التنازل عن حقيقة الأمر والنهي ولقد عبر احد الباحثين عن هذا الشعور الذي يختلج في صدور بعض الناس حيث طرح سؤالا ورد عليه ومما قاله: المقصود بالوسطية مرونة الأمة بحيث لا تصطدم بالأفكار والمبادئ الأخرى عند الالتقاء بها، بل قابليتها للأخذ والعطاء والتنازل عن جزء مما عندها من اجل تنازل الطرف الأخر والالتقاء عند نقطة وسط ترضى جميع الأطراف. (٦) البينية: إن البينية من لوازم وصفات الوسطية، إن إطلاق لفظ البينية يدل على وقوع شيء بين شيئين أو أشياء وقد يكون ذلك حسا ومعنى، وعندما نقول إن الوسطية لا بد أن تتصف بالبينية فإننا لا نعني مجرد البينية الظرفية حيث أن هذه الكلمة تعطي مدلولا عمليا على أن هذا الأمر فيه اعتدال وتوازن وبعد عن الغلو والتطرف أو الإفراط والتفريط وبهذا تكون البينية صفة مدح لا مجرد ظرف عابر وكثير من العلماء ربطوا بين الوسطية والبينية.

الحضارة الإسلامية حضارة وسط

أن الحضارة الإسلامية حضارة وسط، وان المسلمين أمةً وسط, و ذلك ليس محض تأملات يتم إنتزاعها من ذاكرة التاريخ انتزاعاً، بل من خلال التأمل العقلي وسبيل الباحث في هذه الدعوة هو التأمل في نصوص

[٢٨] لقمان آية: ١٣.
[٢٩] آل عمران آية: ١١٠
[٣٠] الحج آية: ٧٨
[٣١] النحل آية: ١٢٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن يعرف دليله. ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى الاستقامة ونهيه عن الغلط وتحذيره من تعدي الحدود لم يكن السلف في يوم من الأيام متطرفين أو مغالين، كما لم يكونوا متشددين. لقد أوصى عمر بن عبد العزيز عاملاً من عماله فقال له بعد إن أوصاه بالزوم طريق من سلف (ما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا وطمع عنهم قوم آخرون فغلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم).[٣٤]

الخلاصة:

أن الوسطية الإسلامية التي تدعونا جميعاً إلى نبذ التطرف والإرهاب والبعد عن التعصب وسوء الخلق وخاصة مع الآخر غير المسلم تختلف جذرياً عن الوسطيات المادية أو الفلسفية التأملية، منطلقاً ومبدأ، فهي تنطلق من مبدأ خلقي مسدد بالوحي أو مصحح بالهدي الإلهي وليس من مبدأ خلقي خضع لتأملات عقلية إنسانية عبثت به ذات اليمين وذات الشمال، وكأني في وسطية الإسلام التي قام عليها بناء الحضارة الإسلامية إمام مستويين: المستوى الخلقي كما هو في ذاته ، والمعبر عنه هنا بالعدل والخير.

ومن هنا **يري الباحث**: ان الوصف الإلهي لأمة الإسلام بالوسطية يجعلنا ندرك قيمة الوصف ومغزى الربط لهذه الأمة فتحدد أمامها منهاج الحياة ودستورها في إطار التمسك بالوسطية والتوازن في أمور الدين والدنيا، وأن الحدة والتطرف ليس من طبيعة هذا الدين ولا من مقوماته مع التمسك بالقوة الناضجة الرشيدة وهي غير التطرف ، وإننا لسنا كالأمم التي تشددت فشدد الله عليها وأذاقها مر الحياة.[٣٥]

إن الإسلام جاء بالعدل والوسطية والتوازن حيث أعطى كل ذي حق حقه. أن الوسطية الإسلامية التي تدعوا إلى نبذ التطرف والإرهاب والبعد عن التعصب وسوء الخُلق وخاصة مع الآخر غير المسلم تختلف جذرياً عن الوسطيات المادية أو الفلسفية التأملية منطلقاً ومبدأ، فهي تنطلق من مبدأ خلقي مسدد بالوحي أو مصحح بالهدي الإلهي وليس من مبدأ خلقي خضع لتأملات عقلية إنسانية عبثت بها ذات اليمين وذات الشمال. إن وسطية الإسلام ليست بدعة احد. إنما هي روعة السلام في حض المسلمين على عدم التشدد حيث جاءت الآيات والأحاديث لتضع المسلم في موضع ومركز التوسط والاعتدال وتوجد العديد من الآيات والأحاديث التي تؤكد علي التوسط والإعتدال. أن الحضارة الإسلامية حضارة وسط، وان المسلمين أمةً وسط , و ذلك ليس محض تأملات يتم إنتزاعها من ذاكرة التاريخ انتزاعاً، بل من خلال التأمل العقلي وسبيل إلى تفريط أو إضاعة وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمتين ، فكما إن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه عن الحد).[٣٢]

وقد يحاول البعض الدعوة إلى دين الله بطريقة خاطئة حينما يتعامل مع غير المسلمين بتطرف واعتداء ظناً منه إنه يفعل الخير لدين الله ، وهذا سلوك مشين يتعارض مع قول الحق تبارك وتعالى :﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[٣٣]

وهناك حقيقة يلزم الجميع الاعتراف بها وهي إن تشويه صورة الإسلام في أوروبا ولدى العالم يرجع لسلوك بعض المسلمين والى الأعمال الإرهابية التي ترتكب من بعضهم بإسم الإسلام الذي هو برئ منها لان الدين الإسلامي دين التسامح والحب وهذه الأمور لابد من تغيير المفاهيم الخاطئة عنها في أذهان الغرب وقتها سيتم تصحيح مسار المجتمعات الإسلامية والرجوع إلى الإسلام الذي يعصم الإنسان المسلم مما يحدث في الغرب من حوادث انتحار واكتئاب نتيجة الغياب الروحي وسيطرة المادة.

فكيف إذن يسمون أنفسهم مسلمين و لم يسلم المسلمون لا من ألسنتهم ولا من أيديهم فقد أساءوا إلى سمعة هذا الدين في الخارج حتى إن بعض المجتمعات الأوروبية والأجنبية اليوم تصف ديننا الحنيف الرحيم الذي تركزت رسالته في الرحمة بأنه (دين التشدد) و(دين دموي) و(دين إرهابي)، دين لا يصح إن يسود في العالم، وأصبحوا يصفون المسلمين وكأنهم قطاع طرق وكأنهم قتلة وكأنهم سفاحون ، ويقول بعضهم انه بعد سقوط الشيوعية لم يعد أمامنا عدواً إلا الإسلام.

إن تعاليم الإسلام ونصوص القران الكريم تقول إن المنهج الرباني الذي خاطب الله تعالى به أفضل من مشى على الأرض أمره إن يدعو إلى ربه والى سبيل ربه بالكلمة والحكمة التي يفطن لها أولو الألباب، وان يدعو عامة الناس بالموعظة الحسنة وان يعارض الذين يخالفون بالتي هي أحسن. إننا يلزمنا الدعوة بالحسنى إلى استكمال تطبيق شرع الله في شتى مناحي الحياة بالكلمة الطيبة والفكرة المتكاملة والعبارة الهادئة المهذبة ولا سبيل إلى ذلك إلا من خلال دور هام لعلماء الأمة ومؤسساتها ومراكزها الإسلامية لإعلام الناس بحقائق الأشياء حتى لا يفتى إلا العالم ، ولا يتكلم إلا الفاهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في فتواه: إن كثير من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة ومعان متشابهة حتى نجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلاً عن

---

[٣٢] مدارج السالكين ج ٢ ,ص٤٩٦.

[٣٣] النحل الآية: ١٢٥.

[٣٤] اخرجه ابو داود ، كتاب السنة ، حديث رقم ٤٦١٢.

[٣٥] الطيب احمد. وسطية الحضارة الإسلامية ،مرجع سابق, ٢٠٠٣م .ص ٢٢٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكريم في وضوح لا لبس معه ولا التواء .

الباحث في هذه الدعوة هو التأمل في نصوص قاطعة وردت في القرآن

المراجع

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشق, عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير, تحقيق أحمد شاكر, دار الوفاء, ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

أبو جعفر الطبري, جامع البيان في تأويل القرآن, **مؤسسة الرسالة**, ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

الطيب احمد,وسطية الحضارة الإسلامية، القاهرة: ٢٠٠٣م

عبد الرحمن محمد النجدي, مجموع الفتاوى لأبن تمية, دار العربية, ١٣٩٨هـ.

محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين, لسان العرب، بيرت: دار صادر, ٢٠١٠م

محمد بن إسماعيل البخاري, صحيح البخاري, بيروت: دار ابن كثير, ١٤٢٣ هـ

أبو الحسن علي بن الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد, **بيروت**: دار الكتب العلمية, ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, معجم مقاييس اللغة, بيرت: دار الفكر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

أبوعيسي بن سورة الترمذي, الجامع الصحيح المسمي (سنن الترميذي), تحقيق محمودحسن نصار, دار الكتب العلمية, ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م

الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن, مكتبة نزار مصطفى الباز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com